

وفي سنة ٦٤ ق.م.. تمكن الرومان من نسف دولة السلوقيين، فغدت فلسطين خاضعة لسيادة روما ولاحتلالها العسكري. وقد حاول المكابيون الثورة ضد الرومان مرات عدة، أهمها تلك التي قاموا بها خلال النصف الثاني من القرن الاول بعد الميلاد، حيث تعرضوا للرومان وغيرهم من سكان البلاد، مما دفع القيصر لوسياسيانوس، العام ٦٩ م. الى وضع ابنه تيطس على رأس جيش هزم المكابيين وحاصر القدس ودمرها وأحرقها وأباد من كان فيها من معتنقي الديانة اليهودية، في حين فرّ من نجا منهم الى خارج فلسطين، فانقطعت. بعد ذلك، كل صلة لمعتنقي الديانة اليهودية بها، لاسيما مدينة القدس التي أقام فيها الإمبراطور هدریان سنة ١٣٥ م. مستعمرة رومانية وحرم على معتنقي الديانة اليهودية الإقامة فيها^(١). وخلال تعاقب القرون، لم تشهد فلسطين هجرة يهودية واسعة، إلا في القرن الخامس عشر، حين هاجر عدد كبير من اليهود من اسبانيا فراراً من الاضطهاد الذي مارسه عليهم الملوك المتشددون في كاثوليكيته. ومع ذلك، فقد شكلوا اقلية محدودة في البلاد. ففي العام ١٨٤٥ لم يكن في فلسطين من اليهود إلا ١٢ ألفاً من مجموع عدد السكان البالغ ٢٥٠ ألف نسمة، وفي العام ١٨٨٠ كان عددهم ٢٥ ألفاً من مجموع ٥٥٠ ألفاً^(٢).

وقد شهد القرن التاسع عشر، بفعل عوامل متعددة، أهمها نشوء التيارات القومية في أوروبا وعمليات الاضطهاد المتلاحقة لليهود، محاولات عدة للهجرة الى فلسطين، واتخذت هذه المحاولات أشكالاً متعددة، إلا أنها بقيت فردية، ولم تحدث طابعاً مؤثراً في التركيب الاجتماعي لفلسطين. وقد اشتدت دعوات الهجرة الى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بفعل ازدياد الاضطهاد الذي مارسه بعض الدول على اليهود، وخصوصاً روسيا وبولونيا. ومع ان هذه الدعوات ارتدت طابعاً دينياً بحيث كانت تدعو الى «عودة روحية» الى الأراضي المقدسة، إلا أنها لم تأخذ شكل الهجرة المنظمة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، حدث منعطف تاريخي للمسألة اليهودية، حين تمكن تيودور هرتسل، بعد محاولات متواصلة، من عقد مؤتمر صهيوني في بازل، في سويسرا. وفي هذا الإطار، وتحقيقاً لهذا الهدف، خلط الصهيونيون ووضعو البرامج الفعالة لتحقيق غايتهم تلك، واتخذت الصهيونية العالمية على عاتقها تحقيقها، وسعت الى ذلك بكافة الطرق والوسائل معتمدة على أفكار منظريها من الصهيونيين الاوائل.

الهجرة في الفكر الصهيوني

ان فكرة «العودة» قديمة قدم الديانة اليهودية ذاتها، وهي مرتبطة بها ومنسجمة مع تعاليمها. وهكذا، فقد سعى اليهود، منذ خروجهم من فلسطين، الى العودة الى «أرض صهيون» بأساليب متعددة. وقد شهدت الفترات التاريخية السابقة محاولات عدة في هذا الاتجاه، لكن لم يكتب لها النجاح. ويمكن القول انه مع مطلع القرن التاسع عشر بدأت هذه الفكرة بالقبول بشكل واضح وملمووس. وقد كانت بداياتها الاولى تتمثل في عودة روحية الى فلسطين بحيث تشكل خطوة حقيقية على طريق «الخلاص المنتظر» وتمهد السبيل لمجيء المسيح - المخلص. وكانت هذه الصهيونية الدينية هي الارضية الفعلية للصهيونية السياسية التي أعلن عن ميلادها تيودور هرتسل، في بازل، في سويسرا العام ١٨٩٧.

ويعتبر الحاجام يهودا الكلكي (١٧٩٨ - ١٨٧٨) أول من دعا الى العودة الى فلسطين في